

بين الرافعي والعقاد

للأستاذ محمود محمد شاكر

— ٤ —

وبعد ، فقد فرغنا في الكلمات السالفة من الحديث فيها هو « بين الرافعي والعقاد » ، مما جاء في كلام الأستاذ الفاضل سيد قطب . ثم رأينا الأستاذ يبدأ ضرباً من القول هو إلى رأيه في كلام الرافعي وحده ، ليس يدخله ذكر العقاد إلا قليلاً . وقد كان بدء حديثنا محدوداً بالرافعي والعقاد معاً . فتحسن نرى أن عملنا قد انتهى إلى نهايته في هذا الغرض من القول ، ولذلك ، ليس بضيرنا الآن أن نسكت إلى حين يفرغ الأستاذ سيد قطب مما يسر الله له القول فيه مما يسميه تقدماً

وأول ما يجب علينا أن نقوله للأستاذ الفاضل بعد الذي كتبناه أنه يسمي بنا الظن بلا دليل ولغير علة . يتزعم أن في حديثنا (غمزاً ولزاً وتمريضاً به) وكذا وكذا ، ونحن نكرم أنفسنا وقلوبنا وضائرنا وألسنتنا عن هذه الضرب من القول ، ولو أردناه لمضينا على عادتنا من التصريح دون التلويح ، ولقلنا له من القول ما هو حق لا كذب فيه ... حق يدافع عن حقيقته بالبيان والحجة والوضوح ، والأدب الذي يصف عن دينيات المماريض وسفاسف الأخلاق

وليعلم الأستاذ قطب أني إذا أحييت لا أغلو ، ولا أتجاوز حد الحب الذي يصل القلب بالقلب ، ويمد الروح بالروح ، وبجمل النفس في فرح متصل بسببه ، أو حزن آت بملته ، فهذا أخلق الحب أن يخلو من سوء العصبية ، وفساد الهوى ، وقبح الغرض . فلا يجدي أرفع الرافعي عن الخطأ ، ولا أجله عن الضعف ، ولا أنزهه عما هو في عمل كل إنسان حتى ناطق يأمل ويتشهى . مما يسمي بأسمائه حين يعرض ذكره . وفي كل أحد من خلق الله على صورة (الانسا .) ضروب من الثمائل والسجاي والأخلاق والآداب ، ليس يطلع ظلها إلا الله جل جلاله ، وربُّ رجل صاف كنور الفجر ينجباً من ورائه مظلمة من سواد الليل ولقد عرفنا الرافعي زمناً — طال أو قصر — فأجبتنا

ومنحناه من أنفسنا ومنحننا من ذات نفسه ، ورضيناه أباً وأخاً وصديقاً وأستاذاً ومؤدباً ، فلم نجد له إلا عند حسن الظن به في كل أبوته وإخائه وصداقته وأستاذيته وتأديبه . ولقد مات الرافعي الكاتب الأديب وهو على عهدنا به إنساناً نجبه ولا ننزهه ، ثم جاء الأستاذ سيد قطب بحسن أدبه يقول في الرجل غير ما عهدناه ... يؤول كلامه ويأخذ منه ويدع ويتفلسف ويحلل ويزعم القدرة على التولج في طويات القلوب وغيب النفوس فيكشف أسرارها ويميط اللثام عما استودعت من خبيثاتها ، ثم هو في ذلك لا يتورع ولا يحتاط ، ولا يبرح زمام الموت ، ولا يوجب حق الحى

لقد كتب الأستاذ ما كتب ، فقرأ كلامه من قرأ ، أفيجد في هؤلاء من يقول له أصبت ؟ ومن يقول له أحسنت ؟ ومن يزعم أن ليس له مندوحة عما اتخذ من اللفظ في ذكر الرافعي وصفته والحديث عنه وعن أدبه وشعره ؟ أما يجدر بالأستاذ الفاضل أن يعود إلى بيته هادئ النفس مُخْلِ من حوافز الحياة الدنيا ، فيقرأ ما كتب مرة أو مرتين ، ثم يرى هذا الذي ترك الدنيا بالأمس وحيداً ، وخلف من ورائه صغاراً وكباراً من أبنائه وحفدته وأصحابه واللائذين به ، ثم يراهم يقرأون ما يكتب عن أبيهم وجدهم وصاحبهم بالأمس ، ثم يراهم والدمع يأخذهم بين الذكرى المؤلمة والألم البالغ ! ولو فعل ، لعرف كيف أخطأ ومن أين أساء ، ولوجده لزاماً عليه أن يقدر عاطفة الحى ، إن لم يمتظم حرمة الموت . وهذا أمر لا تطيل القول فيه ولا تكثر من لوم الأستاذ عليه ، فإن مرجعه إلى طبيعته وما تضرره نفسه ، وإلى تقديره لمواطف الناس

ومهما يكن من شيء ، فسندعُ الأستاذ سيد قطب يقول — ما يقول ، ويذكر من رأيه في الرافعي ما يذكر ، ويصف أدب الرجل وذهنه وقلبه ونفسه بما يوحى إليه ، لا نعقب على شيء منها حتى يفرغ ، وحتى يستوفى مادة ، ويضع بين أيدينا كل حججه في فن الرافعي . فيوم ينتهي نبدأ نحن القول في الذي قال ... لا ترد بذلك عليه قوله ، أو نسدد له رأيه ، فالتنا بذلك حاجة ولا لنا فيه مأرب ، ولكننا نريد إذ ذاك أن نضع رأيه بمنزلة الرأي يقول به فئة من الناس ، أو شبهة تحيك في صدر جماعة من